

المبحث الأول

الدين وتعريفه

يعرف الدين في اللغة بأنه الديانة واسم لجميع ما يُعبد به الله، والملة، والإسلام والسيرة والعادة، والحال والشأن، والورع، والحساب، والملك، والسلطان، والحكم، والقضاء، والتدبير»^(١).

والمتأمل في اشتقاق الكلمة وطرق استعمالها يجد أن هذه المعاني الكثيرة التي تعنيها كلمة الدين تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة.

بيان ذلك:

أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه «دانه يدينه» وتارة أخرى من فعل متعد باللام «دان له»، وتارة من فعل متعد بالباء «دان به». وباختلاف الاشتقاق تختلف المعاني التي تعطيها الصيغة. فعلى سبيل المثال:

(١) إذا قلنا «دانه ديننا» عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجزاه، وكافأه.

فالدين بهذا الاستعمال يدور على معنى الملك، والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة، والتدبير، والحكم، والقهر، والمحاسبة.

وقد استعمل القرآن الكريم الدين بهذه المعاني:

[أ] بمعنى الحساب والجزاء في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

(١) انظر المعجم الوسيط (١/ ٣٠٤).

[الفاتحة: ٤]. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨١﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦-٨٧].

[ب] بمعنى النظام والملك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦] أي في نظام أو ملك مَلِك مصر في هذا الوقت.

[ج] بمعنى الحكم في قوله ﷺ «الكيس من دان نفسه» أي حكمها وضبطها و«الدينان» الحكم القاضي. وبمعنى القضاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] أي في قضائه وحكمه» (١).

(٢) وإذا قلنا «دان له» أردنا أنه أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة الورع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] أي له الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] (٢) ومن أحسن طاعة.

وقد استخدم الدين في أشعار العرب بهذا المعنى في قول عمرو بن كلثوم:
وأيام لنا غرّ طوال عصىنا الملك فيها أن ندينا
أي أن نطيعه ونتبع قوله، ونأتمر بأمره (٣).

(٣) وإذا قلنا «دان بالشيء» كان معناه أنه اتخذ دينا ومذهباً أي اعتقده أو اعتاده أو تخلّق به، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها الإنسان ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] أي طريقتكم التي تتبعونها في عبادتكم ومعاملاتكم، ولي ديني وطريقتي التي علمني الله إياها وأرشدني إليها وأمرني بها (٤).

(١) الكليات لأبي البقاء (٢/ ٣٢٨، ٨٢٩).

(٢) انظر: المفردات للراغب ص (١٧٧، ١٧٨).

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٦).

(٤) الدين: للدكتور عبد الله دراز ص (٢٦) ومقارنة الأديان ص (٦).

وأخيراً يطلق الدين على الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ شاملاً العقيدة والشريعة لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ويقول الدكتور دراز في تعليقه على الاستخدامات اللغوية لمادة «دين» (ونستطيع أن نقول إن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو بالتزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد به) (١).

الدين شرعاً:

يعرف الدين في لسان الشرع بأنه «وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات» (٢).

ويعرف أيضاً بأنه «ما شرعه الله تعالى على لسان الأنبياء لتبيين الأحكام» (٣).

الدين في اصطلاح علماء الأديان:

لقد اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في تعريف الدين في الاصطلاح. وقد أورد الدكتور دراز عليه رحمة الله أكثر من أربعة عشر تعريفاً كل واحد من هذه التعريفات قد اكتفى بجانب واحد من جوانب الدين (٤).

ونستطيع أن نستخلص تعريفاً موجزاً للدين في اصطلاح علماء الأديان وهو عبارة عن «الخضوع والتذلل لبعض الكائنات والاحتماء بها، وتقديم القرابين لإرضائها سواء أكانت هذه الكائنات محسوسة كالشمس والقمر، والصنم والوثن، أو

(١) الدين ص (٢٧) بتصرف يسير.

(٢) البيجوري على جوهره التوحيد ص (١٤).

(٣) نفسه.

(٤) انظر هذه التعريفات والتحليلات القيمة التي أوردها الدكتور دراز لهذه التعريفات، الدين ص

(٢٩ - ٣٤).

غير محسوسة كالأرواح الخفية التي كانوا يتقربون إليها. أي أنه جملة من المبادئ العامة وضعها بعض الناس ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها»^(١).

وواضح من هذا التعريف أنه يشمل الدين بمعناه العام فهو يشمل الديانة المصرية القديمة والفارسية والبوذية، وغيرها من الأديان الوضعية ويدخل فيها بلا شك التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى على دين موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وإذا كنا نحكم بالوضعية على كل دين فإننا يجب أن نميز بين الدين الحق، والأديان الباطلة، فالدين الحق هو الإسلام.. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وما دام الأمر كذلك فلا بد أن نشير إلى دين الأنبياء، وأصحاب الرسالات الذين ورد ذكرهم في القرآن لنستعرض الآيات التي تحدثت عن أن الإسلام هو دين الأنبياء من قبل محمد ﷺ.

الإسلام دين الأنبياء جميعاً:

فهو دين سيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا يعقوب وأبنائه وعلى رأسهم سيدنا يوسف، وهو دين سيدنا موسى وسيدنا داود وسليمان، وسيدنا عيسى وعلى رأس المسلمين جميعاً سيدنا رسول الله ﷺ.

والقرآن الكريم يتتبع الأنبياء ويعلن على لسانهم أن دينهم هو الإسلام:

(١) سيدنا نوح يقول كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ مِنْ آجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

(٢) سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

(١) انظر مقارنة الأديان ص (٧).

(٣) سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

(٤) سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

(٥) سيدنا موسى يأمر قومه بالإسلام، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

(٦) سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قصة ملكة سبأ، حكى القرآن الكريم أنه دعاها إلى الإسلام، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوهُ مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١].

ويعبر عن دينه فيقول: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

(٧) وملكة سبأ أعلنت أنها دخلت في دين الإسلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

(٨) سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كانت دعوته ودينه هو الإسلام: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

(٩) سيدنا رسول الله ﷺ يعلن كما أخبر بذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

(١٠) بل إن الجن أنفسهم الذين بلغتهم دعوة النبي ﷺ قد أعلنوا الإسلام يقول تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٤].

(١١) وأهل الكتاب لما سمعوا القرآن الكريم: ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣] .

(١٢) وبعد هذه الآيات كلها يبين القرآن الكريم: أن الدين المقبول عند الله والناجي أصحابه في الآخرة هو الإسلام.. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] . ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

ونحن إذ نعرض هذه الآيات لنبين أن أي إنسان يهودي أو نصراني يسمع بالإسلام ودعوته ثم لا يؤمن فهو من أصحاب النار يخلد فيها أبد الأبدين مثل الكفار والمشركين. ومعنى الإيمان هنا التصديق بمحمد ﷺ والنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاها. يقول رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ما من يهودي ولا نصراني يسمع بالذي جئت به ثم لا يؤمن إلا كان من أصحاب النار»^(١).

ولا بد من الإشارة إلى بعض النصوص القرآنية التي يمكن أن تُفهم على غير حقيقتها ولنبيين وجه الحق فيها حتى نزيل اللبس أمام الذين يريدون أن يميعوا دين الله وشرع الله حين يستشهدون زورًا وبطلانًا بهذه النصوص ليبرهنوا من خلالها أن اليهود من الممكن أن يكونوا من الناجين هم والنصارى وأبرز هذه النصوص قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الدِّينَ ءَأَمْنٌ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّةَ مَنْ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] .

وأكثر ما نسمع هذه الآية والاستشهاد بها حين يكون الكلام عن السلام مع اليهود أو في معرض الحديث عن الوحدة الوطنية مع النصارى تضييع الحدود العقديّة الفاصلة بين الحق والباطل وتؤول الآيات إن لم تحرف من أجل المنهزمين عقائديًا وحضاريًا.

(١) انظر هامش الطحاوية ص (١٧٠) والحديث أخرجه مسلم تحت رقم (١٥٣).

يقول الشهيد سيد قطب في ظلاله عن معنى الآية السابقة: والذين آمنوا يعني بهم المسلمين، والذين هادوا هم اليهود، والنصارى هم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب (قبل البعثة) الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قولهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون: إنهم صبئوا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك.

والآية تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعًا وعمل صالحًا فإن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصية جنس أو قوم، وذلك طبعًا قبل البعثة المحمدية. أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير.

فالآية تتحدث عن كانوا قبل البعثة فلا نجاة لأحد إلا بدخوله في دين محمد ﷺ وهو الإسلام.

يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].
فأهل الكتاب من اليهود والنصارى الآن كفار ومشركون وأديانهم أديان وضعية بقي فيها بعض الأشياء الصحيحة والذي يحكم بصحة هذه الأشياء إنما هو الإسلام وكتابه القرآن ونبيه الخاتم محمد ﷺ.